الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر — كلية اصول الدين والشريعة

للعلوم الإسلامية قسنطينة — والحضارة الإسلامية

الرقم التسلسلي : . . . . . /2001 — قسم العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل : . . . . . .

التأويل عند الغزالي

مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة

شعبة العقيدة ومقارنة الأديان

تقديم الطالب : منصور مرحاني

أمام اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس :	د . عمار طالبي	أستاذ	جامعة الجزائر
المقرر :	د . إسماعيل يحيى رضوان	أستاذ محاضر	جامعة باتنة
العضو :	د . سلمان نصر	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
العضو :	د . إسماعيل مرهوقي	أستاذ محاضر	جامعة منتوري
العضو :	د . إبراهيم التوهامي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر

نوقشت يوم : 16 ربيع الأول 1422 هـ الموافق لـ 18 جوان 2001

ملخص

التـــأويل عنـــد الغـــزالي

تحتوي الكثير من نصوص الوحي سواء كانت قرآنية أو سنية على بعض العبارات والألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى، وهو أمر طبيعي على اعتبار أن المعاني أكثر بكثير من الألفاظ. وهذا يؤدي إلى اشتراك المعاني المختلفة في اللفظ الواحد، ولتمييز المعنى المراد عن غيره من المعاني لابد من الرجوع إلى القرائن التي تستفاد من النص ذاته، أو من نصوص أخرى، أو من عادة العرب في استعمال هذا اللفظ، وصرف اللفظ إلى أحد معانيه المحتملة بناء على قرينة يسمى تأويلا.

ولم تحدث هذه النصوص المتشابهة أية مشكلة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب الفهم الجيد للنصوص من قبل الصحابة، وعدم سؤالهم إلا على ما يتعلق بالأعمال. وهذه النصوص في الغالب لا تتعلق بذلك، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم عن بعض التساؤلات التي كانت تطرح هنا أو هناك.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بدأت الاختلافات تبرز ولكن على نطاق ضيق في بعض النصوص الفرعية التي لها متعلق بالأعمال، أما النصوص الأخرى فكان يزجر عن الخوض فيها كما فعل ذلك عمر بن الخطاب الذي عاقب عبد الله بن صبيغ الذي بدأ يثير التساؤلات حول بعض المعاني. ومن أمثلة تلك النصوص التي اختلف فيها الصحابة قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"، وهذا النص يتعارض ظاهر معناه مع نص آخر في القرآن الكريم يفيد أن لا أحد يعاقب بفعل غيره (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، والجمع بين هذين النصين مع نصوص أخرى أدى إلى تحديد المعنى المراد بدقة لا يكتنفها غموض،وهو أن الميت الذي يعاقب ببكاء غيره عليه هو الذي يوصي قبل موته بالبكاء عليه، أو كان هو يبكي على غيره، أو لم يكن ينهى أهله عن البكاء، كما أن البكاء المراد هو الذي فيه ضرب الخدود وشق الجيوب والدعوى بدعوى الجاهلية.

وبعد انقضاء عصر الراشدين، ظهرت في المجتمع الإسلامي فرق سياسية وفكرية متعددة وفقدت الدولة الإسلامية السيطرة التي كانت لها في عهد الراشدين، ولم يكن بوسعها التحكم في توجيه الناس توجيها فكريا سليما، بالإضافة إلى ضعف اللسان العربي، وضعف الإيمان في قلوب الناس. هذه الأسباب كلها مع أسباب أخرى جعلت الاختلافات في تحديد بعض المعاني تكثر وتكبر حتى امتدت إلى العقائد ولم تسلم حتى النصوص المحكمة من الخوض فيها، ولا شك أن بعض تلك الخلافات كانت بسبب الجهل باللغة.

وبأسباب النزول، بينما كان بعضها الآخر راجعا إلى أهواء جامحة كما هو الحال عند بعض الفرق السياسية التي استعملت بعض النصوص لنصرة تصوراتها ومبادئها وأهدافها.

ولم يكن التوفيق بين تلك الفرق ممكنا لاختلاف منطلقاتها وأهدافها ونظرتها إلى كل من العقل والنقل، بل أصبحت بعض تلك الفرق تسعى إلى تطويع بعض النصوص لمبادئها لا تطويع مبادئها للنصوص، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى اتساع الهوة وانتشار تهم التكفير بين الفرق.

ولما جاء الإمام الغزالي في أواسط القرن الخامس الهجري، كانت هذه الخلافات والفتن قد نزلت إلى العامة في المساجد، وفي الأماكن العمومية وقد فتح الإمام الغزالي عينيه على جو مشحون بالصراعات الفكرية، كان التكفير فيها هو السلاح الأول والأخير للإجهاز على المخالفين.

وقد هيأت الظروف الثقافية والسياسية الإمام الغزالي ليتميز على غيره، فقد تتلمذ على الأستاذ الكبير الإمام الجويني، وشهد طرفا من مناظراته في مجالس الوزير نظام الملك. كما أن الإمام قد بدأ في التدريس والتصنيف، وشارك في المناظرات، وكان نجمها المتألق، وقد قاده هذا البروز لأن يكون أستاذا في المدرسة النظامية ببغداد، أين كان يحضر درسه مئات من أكابر الناس حتى أصبحت هيبته أكبر من هيبة الخليفة ذاته، وفي وسط هذا التألق لم يغفل الغزالي لحظة واحدة عن التفكير في هذه الصراعات وأسبابها وأهدافه، فكلها يدعي ويريد أن يصل إلى الحقيقة، ولكن الخلافات بينها حادة ومن هنا افترض نفسه مستقلا عن كل تلك الفرق، وبدأ بحثه عن الحقيقة من الصفر، واستعمل في ذلك الشك المنهجي، فبدأ أولا يشك في وسائل المعرفة مثل الحواس والعقل، ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة مختلف الأفكار دراسة موضوعية متعمقة فدرس الفلسفة وأفكارها، واطلع على آراء الفرق المتعددة. وخرج من دراساته المتعمقة بثروة علمية وفكرية هائلة، ومكنته من أن يدرس التأويل دراسة غير مسبوقة.

فلم يكن التأويل قبل مجيء الغزالي موضوعا مستقلا بل كان يورده بعض المفسرين وبعض شراح السنة، وبعض الباحثين في العقيدة لبيان بعض النصوص، ولكن الإمام الغزالي درسه بطريق آخر فقد وضع له تعريفا وشروط وضوابط، وقبل ذلك بين النصوص التي يحتاج فهمها إلى تأويل من غيرها. وسلك في دراسته للتأويل مسلك الاحتياط فبين أن النصوص التي نبحث في تأويلها هي التي يترتب عليها عمل، ثم وضع شروطا للتأويل، وأخرى للمؤوّل، وثالثة للمؤوّل له وقد حصر التأويل في نطاق ضيق، ولكنه وسع في ذلك قليلا لإبعاد تهمة التكفير التي كانت منتشرة في زمانه، فالذي ينكر شيئا من الدين مثلا يجب أن نلتمس لإنكاره ما أمكن من التأويلات التي تخرجه من دائرة الكفر.

وعلى الرغم من هذه الدراسات المتخصصة للإمام الغزالي في موضوع التأويل والتي أنتجت أكثر من

خمسة كتب، فإننا نرى أنه لم يلتزم كليا بالشروط والضوابط التي وضعها للتأويل، فرأيناه قد أوّل نصوصا لا تحتاج إلى تأويل،واستعمل الكشف والذوق في بعض تأويلاته حتى كاد أن يقع في ما وقع فيه الباطنية وهم من ألد أعدائه فكرا وعملا.

إن دراسة التأويل في عصرنا هذا أصبحت أكثر ضرورة من أي وقت مضى بسبب ما نراه اليوم من فهم غير صحيح لنصوص الشرع الحنيف، وأصبح التأويل يمس النصوص المحكمة إلى جانب المتشابهة. وهو يصب كله في محاولة التنصل من أحكام الشرع بطريقة لبقة تفهم الناس أن هذا الفهم هو من صميم الدين، وتعدى هذا الفهم الخاطئ الأفراد إلى المؤسسات الرسمية.

إن دراستنا الصحيحة للتأويل تجعلنا نضع خطوطا حمراء حول النصوص المحكمة التي لا ينبغي أن تمس بتأويل أو تحريف، ولا شك أن ما وضعه الإمام الغزالي من شروط وضوابط يساعد على معرفة النصوص التي تحتاج في فهمها إلى تأويل كما أنه يساعدنا على التأويل الصحيح الذي يجنب الأمة وأفرادها الوقوع في الضلال والفتن. وإن بعض ما نراه اليوم في بعض البلاد الإسلامية من فتن واضطرابات ما كان ليحدث لو عرف التأويل ومجالاته وأهدافه وقواعده وضوابطه.

THE INTERPRETATION IN EL GHAZALI'S OPINION

Many of the Revelation texts, either Coranic or from the tradition of the prophet Mohammed (peace been upon him), contain some expressions or terms that imply more than one meaning, and this is so natural because different meanings share the same term, We must refer to the context; to distinguish a given meaning from others, or from other texts or the customs or use of a term from the Arabs before the birth of Islam, and attributing a specific meaning, to a term, selected among different possible meanings is done on the basis of same factors or proofs and this called « interpretation ».

Because of the good understanding of the texts from the part of the prophet's close friends (peace been upon him); the texts which might imply more than one meaning at first sight, didn't pose any problem during the prophet's lifetime, and the latter used to give clear answers to all questions which were asked here and there.

Some contradictions and contrasts began to appear but on a restricted scale, after the death of the prophet (peace been upon him) relating to some minor texts linked to actions, on the other hand, it was not tolerated to try to interpret other texts : Omar IBN Khateb punished « Abdu Allah Ben Sobeigh », who started to raise questions about some meanings related to some phrases or sayings, for instance. Between the tradition of the prophet which made a different between his friends, his says: (the dead is penalised because his family weeps over his death). This text seems to contradict another Coranic text which stipulates that no one receives penalty because of the deeds of others, (Nor can a bearer of burdens, Bear an other's burden) the study of these two texts leads to determine the wanted meaning that can be derived from the prophet's citation is that a dead person is subjected to penalty when he recommends during his lifetime, his family to weep his death or is the one who used to weep over others or didn't use to advise his family not to cry and the cry which is referred to the one which doesn't include beating the cheeks and saying mane sense words.

Many political and intellectual groups appeared in the Islamic society, and the Islamic state lost its authority after the era of « Rachidin Khalifs » was over. The Islamic state failed to provide people with a proper intellectual direction, in addition to weakness of faith that gained people's, all these cause together with others created differences and contrasts in determining some meanings and these contrasts began to multiply and reached even faith and texts which do not imply more than one meaning. Those contrasts appeared because of different in language mastery and ignorance of « Revelation » causes, personal and mean

desires were also among other causes, this was the case of some political groups which used religious texts to defend their principals, goals and ideas.

It was not possible to reconcile between those groups and this was due to contrasts associated with their ideas and goals, and how they used to see and conceive Revelation and intellect. Some groups used to adapt texts to their principals and not vice versa, consequently, the gap widened between them.

Those contrasts conflicts and troubles reached common people and spread to public places during « El Ghazali » era in the fifth cycle of the Hegira, and the latter opened his eyes to see an atmosphere full of intellectual, conflicts he thought and reflected on how to get rid of those.

El Ghazali was distinguished because of the cultural and political circumstances that prevailed at that time, he was the pupil of the prominent teacher « El Imam El Djouaïni », « El Ghazali »started teaching and classifying, he participated in contrastive debates, he became a famous person and that fame gave him a chance to became a teacher in the systematic state school in Baghdad where hundreds of prominent persons used to attend his courses. He gained a big respect; he was even more important than the Khalif huiself. His fame couldn't make him forget to think over the intellectual conflicts, their causes and goals.

« El Ghazali » assumed that he had to be independent from all those groups and start seeking for the truth from zero. He used in his research methodological doubt; he started with doubts concerning the means of knowledge such as the senses objective and profound researches. He studied philosophy and its ideas, he got to know the different views of the different groups, and came out from his profound studies with an important intellectual and scientific background those studies allowed him to study « Interpretation » in a way as no one had done before.

Before « El Ghazali », « Interpretation » was not an independent topic, he studied it in a different way; he defined it, set forth conditions and restrictions, and shoved the texts that need the « effort of interpretation » to be understood. He set forth conditions for « Interpretation », the interpreter and the topic to be interpreted. He restricted « Interpretation » in a very restricted scope.

We have noticed that « El Ghazali » didn't fully stick to the conditions he set forth for « Interpretation », in spite of the meticulous and specified studies he did and in spite of the many books he write on topic. We have noticed that he had interpreted texts which didn't need any « Interpretation ».

Truly, the study and research related to the topic of interpretation in our time becomes necessary and indispensable than any other time because of what we see and more hear about false understanding of our sacred Islamic texts. And the

interpretation deals with texts which mustn't be subjected to any effort of interpretation, and doèsn't ignore texts which bear more than one to understanding and meaning. The purpose of all this is not to conform to the religious texts in a smart way to make people understand that this is the true meaning, and this false understanding has gone beyond the level of individuals to official institutions.

Our serious study of interpretation makes us put red lines concerning texts that mustn't be approached by any effort of interpretation. Undoubtedly the conditions and restrictions that been set for by « El Imam El Ghazali », help us know the texts that need interpretation to be understood, and help us also to interpret correctly, a thing which saves the Islamic nation and individuals from straying away and getting away from the right path.

If the goals, the rules the restrictions and scopes of « Interpretation » were know, we would not have seen the troubles and disputes that some Islamic countries are living nowadays.